علم العلاقات الدولية و القيم ... أيّة علاقة

For each relation between values and International Relations

د. محمد عدار

كلية الحقوق بودواو

جامعة "أمحمد بوقرة "

addar2001@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2017/09/19 / القبول: 2019/03/06/ النشر على الخط: 2019/03/15

Received:19/09/2017/ Accepted: 06/03/2019 / Published online: 15/03/2019

الملخص:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن إشكالية العلاقة بين أدبيات علم العلاقات الدولية الناشئة منذ عشرينيات القرن الماضي و القيم كغايات و أهداف ومقاصد مرتبطة بالأفراد و الدول على حد السواء، حيث أنه بفعل تأثير المنهجية الوضعية، أضحت أدبيات هذا العلم محايدة عن القيم في إطار المنظومة المنهجية الغربية، فأصبحت مفردات: القوة، الصراع، الحرب، من ضمن الأبنية المفاهيمية لهذه المنظومة على حساب التوجهات المقاصدية و السننية للقيم التي يحفل بها الفكر السياسي عند المسلمين التي متى تم تفعيلها حصل العرفان، العمران و الاستخلاف.

الكلمات المفتاحية : القيم، المنهجية الوضعية، المقاصد، السنن،علم العلاقات الدولية.

Abstract :

The présente article give a great importance to the relation between traditions of Internationals Relations which was established on the twenty of précédente Century and the values as goals, which connected to botn : individuels and states.

How ever, after the hegemony of posivitism , the traditions of International Relations are directlly going to study the power, conflict and war , while the islamic thouth have another way to making International political knowledge which are constructed from values.

Key words : values, positivism, goals,objectives, International Relations Science.

مقدّمة:

إذا كانت "الوضعية"، "positivisme"ل"أوجست كونت "(1798 م-1857م) قد استطاعت استبعاد النظرة الميتافيزيقية من مجموع النشاط المعرفي للإنسان([1])سواء في العلم الطبيعي أو العلم الإنساني، حيث أن علم العلاقات الدولية لا يخرج عن هذه "الاكتفائية ([2]) فإن هذه المنهجية الوضعية بدورها قد لحقتها أعطاب خاصة ما تعلق بأسس ببنائها المنهجي و المعرفي.

استند علم العلاقات الدولية وفق المنهجية الوضعية على تطبيق أسس البحث العلمي القائمة على الملاحظة والتجريب الأمر الذي أدى بجملة من الاجتهادات النظرية ([3]) المنادية بضرورة "عدم الانطلاق من افتراضات ومسلمات مسبقة عن الظاهرة السياسية تفترض بوجود حقيقة أو حقائق بعيدة عن إرادة الفرد تعد مسؤولة عن العلاقة السببية بين ظاهرة سياسية ما ومسبباتها "([4]) كما تدعو لإعادة الاعتبار لتأثير العوامل الثقافية، القيمية والاجتماعية في تكوين رؤية الفرد للظاهرة أوالمنظومة المعرفية التي سادت علم العلاقات الدولية طيلة فترة هيمنة المنهجية الوضعية على تقاليده النظرية.

تندرج هذه الدراسة ضمن الأبحاث المنهجية و المعرفية في حقل العلاقات الدولية، غير أن المقصود بالمنهجية ليس تلك الطريقة المتبعة —من طرف باحث العلاقات الدولية —في كشف حقيقة ما أو البرهنة عليها، بل يتعلق الأمر بتوظيف تلك الخلفيات، التصورات و المفاهيم الفلسفية المؤلفة لسلطته المرجعية، إذ تساهم في تشكيل منظومة مفاهيمه المعتمدة و التي يقتضيها مجال البحث، فالمنهجية المقصودة هي "العقل"([5]) الذي تشكل عبر مسار تاريخي، حتى أضحى سلطة في مجال البحث العلمي، فإذا كانت الدراسة تجاري هذه الاجتهادات النظرية في توجيه النقد للمنهجية الوضعية، سرعان ما تتحول عنها لترسم مسارا بديلا يبحث في كيفية إيجاد العلاقة بين القيم و علم العلاقات الدولية من زاوية التأصيل([6]) و التوجيه([7]) لهذا العلم.

([1]) محمد، محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و المعيارية ،ط4 (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008) ص 15 .

([2]) مرجع،سابق، ص 15 .

([3]) Samuel , Knafo, y a-t-il une voie au- delà du positivisme ? les approches critiques et le débat épistémologique en relations internationales, Revue Etudes internationales, vol 39, no 3, 2008, p388.

([4]) خالد موسى، المصري، الوضعية و نقادها في العلاقات الدولية (دراسة نقدية للنظريات الوضعية)، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية المجلد 30، العدد الأول، 2014، ص 318 .

([5]) محمد، أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و المعيارية، مرجع،سابق، ص 14.

([6]) إبراهيم، رجب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث، السنة الأولى، 1996، ص 51 .

([7]) نفين عبد الخالق، مصطفى، مدخل لصياغة مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم (دراسة و تطبيق على علم السياسة) (في) مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة، أكتوبر، 1992، ص 840 .

إشكالية الدراسة:

بناء على ما تقدم، يمكن طرح الإشكالية التالية:

كيف يمكن تأسيس العلاقة بين علم العلاقات الدولية و منظومة القيم الحضارية للعالم الإسلامي؟

1- في التقعيد المفاهيمي للقيم :

أ-التعريف اللغوي للقيم: تعددت تعريفات القيم، و ذلك تبعا للإطار المرجعي الذي يخضع له كل باحث –كما أشرنا سالفا- حيث يمكن تناول تعريفات للقيم من خلال :

- **القيم عند العرب**: ورد في معجم "لسان العرب " لابن منظور ([8]) تحت مادة "قوم " للدلالة على القيام الذي هو نقيض الجلوس، و نجد أيضا : القامة، جمع قائم بمعنى القيام و العزم، ومنه قوله تعالى: " و أنه لما قام عند الله يدعوه" ([9]) أي لما عزم .

كما ورد القيام بمعنى الإصلاح و المحافظة، ومنه قوله تعالى: " الرجال قوامون على النساء" ([10]).

يبدو أن معنى القيمة في الآيات السابقة قريبا إلى مجال تداول القيم في الوقت الحالي: بمعنى التقويم: أي ما يجب أن تكون عليه الأشياء من فضائل.

- **القيم عند الغرب:** وردت عدة تعاريف لغوية للقيم في المنظومة المعرفية الغربية، فتدل عند الفرنسيين و الإنجليز على –حد السواء- على معنى "الشجاعة في القتال "([11]) كما عرفت القيم معاني أخرى: فهي تدل على "الثمن" في المجال الاقتصادي، و على "العدد" في المجال الرياضي، كما عرف القيم، استخداما في مجال الأخلاق، حيث يشير لتلك الأحكام التي يكونها الشخص و مدى تطابق تلك الأحكام مع ما يراه المجتمع.

ب-التعريف الاصطلاحي للقيم: إذا كان تعريف القيم من الناحية اللغوية، يعرف تعددية عند كل من العرب و الغرب . فإنه في نفس الوقت، يتميز تعريف القيم بالتعدد المفاهيمي عند كل من الفكر العربي و الغربي:

- **القيم في الفكر العربي المعاصر**: ربط "مالك بن نبي " بين الثقافة و القيم باعتبارهما: " مجموعة الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فالثقافة على هذا النحو هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته "([12])، في حين أن "محمد عابد الجابري "، تعامل مع تعريف القيم في شكل تصاعدي : فيعرفها في الأول في صورة القيم الثابتة و المستقلة عن إرادة الأفراد، ثم انتقل غلى الجانب الأخلاقي،

([8]) ابن منظور، لسان العرب، ط4، المجلد الثاني عشر (بيروت: دار صادر، 2005) ص 225، مادة قوم .

([9])سورة الجن، الآية 19 .

([10]) سورة النساء، الآية 34 .

([11]) رضوان، زيادة، كيفن جيه، أتول،صراع القيم (دمشق : دار الفكر، 2010) ص 24 .

([12])مالك، بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط4 (دمشق : دار الفكر، 1987) ص 89 .

فأصبحت مرادفة للفضيلة ([13])، أما "طه، عبد الرحمن فيرى أن القيم تعني :" المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء بكليته و يجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه "([14]).

يمكن الوصول لصياغة تعريف إجرائي للقيم و ذلك بالاستناد على ما ورد في التعريفات السابقة، فالقيم هي أحكام صادرة من ذات الإنسان في دراسته لظاهرة ما أو موضوع ما بالاستئناس بجملة المبادئ و المعايير عقدية كان مصدرها أم فكرية، حيث يتحدد في الأخير شكل السلوكيات المرغوب فيها أو عنها.

◎ **القيم في الفكر الغربي المعاصر**: عرف "تالكوت، بارسونز "، "Talcott, Parsons" القيم بكونها : "أنماط ثقافية شاملة ذات جذور في التقاليد الدينية، مما يجعلها مؤثرة على واقعية السلوك الإنساني ([15])، أما "بال، روكيش"،"Sandra ; Ball-Rokeach" فاعتبرتها " معايير مثالية توجه السلوك داخل الفرد ".

يمكن القول، أن مفكري الغرب تعاملوا مع القيم بمنطق "القياس " خاصة في ظل تأثير المنهجية الوضعية في التحليل، حيث أضحت عوامل النفس و خلجات الفكر عبارة عن متغيرات قابلة للقياس الكمي والتجربة (مقياس روكيش، مقياس شوارتز) الأمر الذي ينتج عنه أخطاء في عملية التنظير على مستوى العلوم الاجتماعية عموما و علم العلاقات الدولية على وجه الخصوص .

2-القيم في المنظومة النظرية الغربية:

قبل الخوض في أخطاء التنظير الناجمة عن إخضاع القيم للقياس والتجريب، فإنه من الأجدر في الأول التطرق لـ:

أ-علاقة القيم بالممارسة السياسية: إذا اعتبرنا أن شؤون السياسية تنصرف لكيفية قيادة الجماعة البشرية وأساليب تدبير شؤونها، بما يتوافق مع الإصلاح و الإعمار، فإن القيم تعد بمثابة العامل الموجه لما يعتقد صانع القرار أنه خير وإصلاح، حيث تؤكد الخبرة الإنسانية بدءا باليونان، فالرواقيون و الفلاسفة الطبيعيين أن هناك تداخلا بين الأخلاق و السياسة: فتعريف "الجمهورية " عند" أفلاطون"،"Platon" هي فضاء لتحقيق الفضائل الأربعة : الحكمة، "الشجاعة، العفة والعدالة"([16]).

إذا كانت الفلسفة السياسية عند أفلاطون قائمة على أخلاق الفرد الفاضل، فإن "ميكيافلي "، "Machiavel" قد وضع حدود للأخلاق في كتابه "الأمير " تحت إطار "الغاية تبرر الوسيلة "، فالقيم المرتبطة بعصر الأنوار في أوروبا ليست امتدادا للعصر اليوناني، إذ القانون هو الذي ينتج الأخلاق و ليس العكس، و عليه، يمكن تجاوز قيم الخير و الشر المتوارثة عن اليونان بقيم العدل أو الظلم و هي قيم مستمدة من الطابع المطلق لسيادة الملك في عصر الأنوار، و من هذه الخلفية

([13]) محمد، عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي –دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية –نقد العقل العربي ، ج4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001) ص ص 54-55 .

([14]) طه، عبد الرحمن، تعددية القيم : ما مداها ؟و ما جدواها ؟(الرباط : كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 2001) ص 11 .

([15]) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، القيم السياسية في الإسلام (القاهرة : الدار الثقافية للنشر، 2001) ص 12.

([16]) إمام عبد الفتاح، إمام، الأخلاق و السياسة "دراسة في فلسفة الحكم "(القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، 2001) ص 166 .

التاريخية، يمكن القول –و بحسب "ريمون بولان"، "Rymond, Polin" يمكن القول أن كل من النظام السياسي والنظام الأخلاقي يعملان في "سبيل تحقيق وجود الإنسان من حيث معناه و قيمته اجتماعيا و سياسيا ([17]).

ب- أخطاء التنظير القيمي : تظهر هذه الأخطاء و التجاوزات الناتجة عن تأثيرات المنهجية الوضعية على الأدبيات النظرية لعلم السياسية في بعدها الداخلي أو في بعدها الخارجي، ففي حقل العلاقات الدولية، يرى "هاماتي، أتايا "،"Inanna, Hamat-Ataya" أن الأدبيات الأولى المرتبطة بفترة ما بين الحربين كانت محتفظة بالجوانب القيمية (التاريخ و الأخلاق) غير أنه و بانتقال علم العلاقات الدولية من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية، أكد "جورج كينان"،"George, Kennan" أن "المصالح الوطنية هي التي ينبغي أن تشغل بها الحكومة نفسها-و المتمثلة في الأمن العسكري و تكامل الحياة السياسية و منفعة الوطن –لا صلة لها بالقيم الأخلاقية و لا صفة أخلاقية لها، هذه هي الضرورات التي لا مفر منها للوجود الوطني، و هي لا تخضع لتصنيفات "خير " و "سيء"، كما ذهب كل من "جون، قرينغ"،"John, Gerring" و "جاشوا، ياسنويتس"،"Joshua, Yasnowitz" لاستعراض الكيفيات المستخدمة في تحليل السلوك السياسي الداخلي للدولة(العملية الانتخابية) ([18]) و كانت الدعوة لضرورة تحييد النظرية السياسية من كل ما هو "قيمي" بحكم أن القيمة تقع ضمن مبحث الفلسفة السياسية وما يجب أن يكون .

تشير هذه النماذج النظرية لكل من أتايا، كينان و قرينغ- ياسنويتس للتعامل مع القيم وفق مؤشرات عددية أو حتى إخضاعها للتجريب، لهيمنة المنهجية الوضعية ذات الأبعاد المادية المختزلة للأبعاد الغائية و المقاصدية للإنسان، حيث أن دراسة القيم وفق المنهجية الغربية معناه وجود حالة من تنافي هذه الأبعاد المادية مع مهمة الإنسان الحضارية في الاستخلاف و العمران .

تظهر أخطاء التنظير في المنهجية الغربية من خلال:

أ-قيم النسبية و نسبية القيم: يعد مدخل "نسبية القيم " من المداخل التي تحاول تحييد القيم –تنظيريا –فالنسبية تستبعد الثبات و تنفي الإطلاق جاعلة القيم مرتبطة بالواقع السياسي الداخلي أو الخارجي المتغير في أغلب أحواله، فينتج، تباعية القيم لمتغيرات أكثر أهمية تدخل ضمن فرضيات النظرية الواقعية :

القوة: هي قيمة أساسية و المصلحة قيمة محددة.

لقد أدت الثنائية المنهجية للمنظومة الغربية : إطلاقية النسبي و نسبية المطلق لظهور جملة من الاستنتاجات هي:

- الفصل بين القيم الأخلاقية والقيم السياسية بعد تداخلهما –تاريخيا- فأضحت القيم الأخلاقية خاضعة للنسبية (حسابات القادة).

([17]) ريمون، بولان،الأخلاق و السياسة، تر: عادل العوا (دمشق: دار طلاس، 1988) ص 270 .

([18]) John, Gerring, Joshua,Yesnowitz, A normative turn in political science , polity,vol 38, no1, January 2006, p 28 .

- أصبح التعامل مع القيم في طبيعتها مشحونا بحمولات العولمة و ما تستلزمه من إنتاج مفاهيم قيمية براجماتية و حتى صراعية .

ب-إجرائية القيم: عمدت الأدبيات النظرية الغربية المهتمة بدراسة القيم لإخضاع هذه الأخيرة للقياس و التكميم، فمع بروز دراسات التنمية و التخلف، نشأ اتجاه في دراسة التخلف عرف ب: " اتجاه المؤشرات"([19])

و هو اتجاه يدلل على التخلف من خلال عدد من المؤشرات الكمية و الكيفية، و بناء على هذه المؤشرات، ستتحول القيم من إجرائيتها لقيم وسائلية، فأصبح الحديث ضمن "بروسترويكا علم السياسة " عن مزج بين المناهج الكيفية و المناهج الكمية في التعامل مع القيم .

3-أخطاء الواقع القيمي:

إذا كان النسق النظري الغربي قد انطلق من نسبية القيم على المستوى الأكاديمي

فإن إسقاط هذه النسبية على أرض الواقع، ينتج ما يلي:

أ-التحول عن وظيفة القيم: تحولت وظيفة القيم من التدافع، التحفيز و الارتقاء إلى وظيفة التبرير السياسي داخليا و خارجيا، حيث أصبحت القوة تتحكم بجوهر القيم، فبرزت مقولات عاكسة لهذا الإسقاط في أدبيات الفكر السياسي الغربي مثل : الأمر الواقع، قيمة القوة و التي عبر عنها "نعوم تشومسكي" ب"الحاجة للاستعمار"([20]).

ب-تنميط مفردة القيم: تتميز القيم المركزية بدور توليدي لقيم فرعية تدور في فلك القيم الأم تتفاعل معها، غير أن حالة الانفصال الذي حدث في بداية عصر الأنوار بين القيم الأخلاقية و القيم السياسية، جعلت القيم المركزية أقرب لشعارات متأثرة بمفهوم القوة، حيث تعد النظرية الواقعية أحسن تعبير عن هذا التنميط، إذ أصبحت القوة متغير ثابت مغلف بعناصر قيمية، جعلت الممارسات السياسية داخل الدولة أو في إطار العلاقات الدولية تطغى عليها جوانب القوة و أن العلم الذي يدرس تفاعلات القوة هو علم دراسة القوة،

و قد عمدت القوى المهيمنة على الواقع الدولي –و بفعل العامل التكنولوجي – لتأسيس واقع يربط بين علم دراسة القوة و الواقع (الثورة المعلوماتية) و كانت النتائج –بحسب تشومسكي –إقرار هندسة القبول بقبول ما لا يقبل ([21]).

ج-التهميش الواقعي لمفردة القيم: يرى مالك بن نبي أن علاقة القيم بالفرد، تولد نوعين من الأفكار : "الأفكار القاتلة و أصلها المستعمر و تتجسد في "القابلية للاستعمار " و الأفكار الميتة المرتبطة بتركيبة المجتمع الداخلية و هي أخطر من الأولى، لكونها مثال عن السلبية في عملية النهوض.

([19]) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية "ضرورة منهجية " (في) مجموعة باحثين، المنهجية الإسلامية و العلوم السلوكية و التربوية، بحوث و مناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، ط2 (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994) ص 605.

([20]) نعوم، تشومسكي، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، تر: سامي الكعكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2004) ص 76 .

([21]) نعوم، تشومسكي، إعاقة الديمقراطية : الولايات المتحدة و الديمقراطية، تر: مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1992) ص 225 .

لقد فرضت القوى الاستعمارية معادلات خاطئة في التعامل مع مستعمراتها، حيث أصبحت معادلة : "الحق –القوة واهنة أمام معادلة "القوة –الحق " فحدثت عملية تهميش للقيم النهضوية في العالم العربي –الإسلامي، بحكم أن أغلب دوله عرفت الظاهرة الاستعمارية، ففضلا عن الأفكار الميتة التي يتخبط تحت نتائجها السلبية، يجثم الاستعمار بأفكاره القاتلة على بواعث نهوض العالم الإسلامي.

يمكن القول أن تعامل المنظومة الفكرية الغربية مع القيم كان مع البدايات الأولى لظهور المنهجية الوضعية، حيث باتت القيم موضوعا خاضع للتجربة و القياس شأنه في ذلك شأن الظواهر الطبيعية أو الرياضيات، فانجر على ذلك، بروز قصور نظري لأدبيات العلاقات الدولية ناتج عن الرؤية الاختزالية للمنظورات المادية للواقع الدولي، و أن أكبر تحدي واجهته هذه الأدبيات، يتمثل في عدم القدرة على التنبؤ بنهاية الحرب الباردة .

4–القيم في المنظومة النظرية الإسلامية:

أ–في مصادر القيم:

- **المصادر الأصلية**: تنقسم المصادر الأصلية إلى القرآن الكريم و السنة النبوية :

❖ **القرآن الكريم:** تشمل الوحي الذي على رأسه القرآن الكريم، حيث يعد هذا الأخير إطارا مرجعيا بما يتضمن من عناصر هي :

– **التوحيد**: تقوم عليه المتغيرات التأسيسية الأخرى .

– **الاستخلاف**: هو الغاية من السلوك البشري و مقياس الأمانة.

– **الأمة:** تمثل وعاء الاستخلاف و أداته.

– **الشرعة**: تأتي لتؤمن للأمة وسائط بلوغ المهمة .

يمثل هذا الإطار المرجعي خلفية تأصيلية مصدرها الرؤية القرآنية المتمايزة عن الخلفية المادية، فهي منبثقة عن عقيدة التوحيد التي تنتظم حولها بقية المفاهيم الأخرى و تستند إليها القيم من خلال :

- تشكل القيم البواعث و المنطلقات و الأبعاد المعنوية للفعل الإنساني و أهدافه .
- الجماعة الحاملة لهذه المنظومة و المتفاعلة معها عبر إطاري الزمان و المكان.

❖ **السنة النبوية**: تعرف السنة على أنها كل ما صدر عن الرسول (ص) أو تعلق به –غير القرآن– من قول أو فعل أو تقرير أو فعل خلقي ([22]).

❖ **المصادر المشتقة (التراث)** : تتكون من رافدين :

الأول: ينحصر التراث الحضاري بمختلف إبداعاته و هو نتيجة تفاعل في الزمان و المكان.

([22]) أحمد، عبد الونيس شتا، السنة النبوية كمنهج لدراسة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية (في) نادية، محمود مصطفى، المداخل المنهاجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996) ص 93.

الثاني: هو نتيجة الخبرة و محصلة تفاعل الأمة التي أوجدها الإسلام.

يعدّ التراث بمثابة الرافد الأساسي للحديث عن الخبرة الإسلامية، فهو عقل الأمة ووعيها و تجربتها في التعامل مع السنن الإلهية في الكون، الحياة و الإنسان.

ب-في إقترابات دراسة العلاقات الدولية من مدخل التراث السياسي: يمثل التراث السياسي للمسلمين الفضاء النظري و المعرفي التي تتفاعل فيه القيم مع واقع المسلمين، و تتضح الدراسة من خلال النماذج التالية:

- **أنموذج منى أبي الفضل**: يعد التراث السياسي الإسلامي –كما أشرنا- من مصادر التنظير التي تستند إليها القيم في تفسير الظاهرة السياسية الدولية، حيث تتعامل منى أبو الفضل مع التراث عبر مقارنتها بين الأنموذج المعرفي الإسلامي (التوحيدي –الرأسي) و الأنموذج المعرفي الغربي (العلماني –المتأرجح) .

يكون التعامل مع التراث السياسي الإسلامي من خلال إعادة قراءته من داخل النسق المعرفي الإسلامي، لتحقيق ما يلي([23]):

- كشف العيوب المنهاجية لقراءات إستشراقية ذات عواقب سياسية بالنسبة لفهم التاريخ.
- فهم خصائص الأوضاع الراهنة .
- تحقيق قراءة الفكر السياسي الإسلامي من منظور خاص به.

تدعو منى أبو الفضل إلى وقف الاجترار السلبي للتراث، و كشف بالمقابل صفة "التحيز" في مجال علم السياسية و الناتجة عن هيمنة الأنموذج المعرفي الغربي بصورته المادية، حيث همد لاستلاب الذات الحضارية، كما دعت أبو الفضل ل"التجديد الإحيائي لهوية الأمة " عن طريق تشجيع "الدراسات الحضارية المقارنة " في حقل العلوم السياسية (النظم السياسية المقارنة، الفكر السياسي، النظرية السياسية،....) و بالتالي تجسيد رؤية متكاملة النظر للظاهرة السياسية يترابط فيها القيمي و المادي و الجزئي و الكلي على حد السواء.

- **أنموذج حامد ربيع**: يمثل "حامد ربيع" مرحلة تثويرية في دراسة الفكر السياسي على مستويين([24]):

- **مستوى أهمية ووظيفة التراث**: استدعى حامد ربيع "التراث السياسي الإسلامي " إلى قلب الدراسات السياسية، معتبرا إياه مصدرا للتنظير للظاهرة السياسية بكل أبعادها الداخلية و الخارجية على حد السواء، و أن دراسة حامد ربيع للتراث السياسي نابع مع الاعتبارات التالية:
  - أنموذج للعالم الدارس في الأول للعلوم عند الغرب و المتفاعل معها، غير متناس لعلوم دائرته الحضارية .
  - تحقيق الاهتمام بالحضارة الذاتية من خلال العلم بعيدا عن الحماس، الانفعال و العاطفة.

([23]) منى، أبو الفضل، إطلالة منهاجية على مصادر التراث الإسلامي (في) محمد، نصر عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي (واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994)ص 9 .

([24]) حامد، ربيع، مدخل إلى دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير و تعليق سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، ج1+ج2 (القاهرة : دار الشروق الدولية، 2007) ص 67 .

- **مستوى الدراسة المنهاجية للتراث**: ينطلق حامد ربيع من اعتبار الظاهرة السياسية (السلطة مثلا) ظاهرة ذات امتدادات خارجية، يمكن دراستها من خلال الجواب التالية :

❶ **الجانب الأول**: يميز حامد ربيع في دراسته للتراث السياسي الإسلامي بين : تراث الفكر، تراث الخبرة و تراث النظم معتقدا أنه لا يمكن الفصل بين هذه الروافد، كما فرق –في تعامله مع مصادر التراث –بين مصادر تراثية و أخرى معاصرة و بين مصادر متعددة المستويات، مؤكدا على الرؤية الكلية للمصادر كما أوضح أن عملية رسم خريطة مصادر التراث السياسي الإسلامي ليست قضية فنية، بل مسألة معرفية، فكرية و نظرية بالدرجة الأولى .

❷ **الجانب الثاني:** مكانة علم العلاقات الدولية في إسهامات حامد ربيع التراثية : اهتم حامد ربيع بالظاهرة السياسية في أبعادها الدولية من خلال :

– بناء المفاهيم الحضارية الكبرى .

– توظيف التراث في الدراسات السياسية (بناء الدولة العصرية، القيم السياسية، الإسلام و القوى الكبرى و مستقبل الإسلام السياسي) كما تعامل مع عالم الأفكار (أمتي أمة القيم، أمتي و العالم، الوظيفة الكفاحية للعالم) كما اشتغل بعالم الرموز و الأشياء و النظم (المؤسسات الحضارية للأمة، الوظيفة الحضارية، مادة الفعل الحضاري، علامات الجماعة و هويتها، مظاهر الانتماء الحضاري و ذاكرة الأمة الحضارية،....)

❸ **أنموذج سيف الدين عبد الفتاح:** يقدم سيف الدين عبد الفتاح في دراسة بعنوان: " الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي ([25]) مفهوما حضاريا متسعا للفكر الإسلامي، يقوم على ما يلي :

- **اتساع الإطار المفاهيمي للفكر الإسلامي** : جمع سيف الدين، عبد الفتاح بين الدراسات التراثية و الدراسات الإستشراقية المتعلقة بدراسة الفكر السياسي الإسلامي الحديث و المعاصر .

– **تعريف السياسي**: صار تعريف "السياسي " اتجاها مهما تسير إليه العلوم الإنسانية القائمة على دراسة الظاهرة السياسية، فتعني السياسة: " القيم بالأمر بما يصلحه ورعاية شؤون الدولة و الأمة".

يؤدي هذا الاتجاه في مفهوم السياسة لمناقشة قضايا انتشار السلطة، تعدد القوى و الإرادات السياسية بعيدا عن المفهوم الهرمي و التقليدي للسلطة، فتشير إذن لمعاني التدبير و الحركة (توجيه الحركة نحو المقاصد، الغايات و المصالح).

– **تعريف الإسلامي**: يرى سيف الدين أن هناك اضطراب يحيط بتعريف "الإسلامي «: فهل يشير إلى دائرة بحثية ؟ أو الإشارة إلى القائم بالبحث ؟ أو مرتبط بمنهجية يعيشها أو بأصول مرجعية ؟

لقد كان الفكر السياسي الإسلامي محل وصف متعارض من طرف دارسيه: Moslim, Islamist, Islamic,...، الأمر الذي جعل سيف الدين عبد الفتاح يقر بضرورة تحرير معاني الفكر الإسلامي مما علق به من أوصاف([26])، كما قدم فروقا بين الفكر الإسلامي كمنطقة بحثية و بين تقويم توجهات دراسته من خلال الالتزام بقواعد المنهجية التأصيلية.

([25]) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل،الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي الإسلامي (في) علي الدين، هلال، محمود، إسماعيل (محرران)،اتجاهات حديثة في علم السياسة(القاهرة : المجلس الأعلى للجامعات، 1999) ص 8 .

يتصف الفكر بكونه نتاج ثقافي و حضاري خاضع لتنوع الظروف و البيئات و الأزمنة و كيفيات التعامل معه منهاجيا، إلا أنه يظل فكرا إسلاميا حتى لو قام به غير المسلمين، لأنهم يمثلون جزء من الحضارة الإسلامية و أن الفكر السياسي الإسلامي يدخل ضمن دائرة اختصاصهم و بحثهم.

- قدرات تفسير الحركة في إطار الفكر السياسي الإسلامي: يرى سيف الدين عبد الفتاح أن هناك أنموذجين في تفسير الظواهر السياسية : النظريات الوضعية و ما بعد الوضعية من جهة و أنموذج إسلامية المعرفة إضافة لمدارس أخرى تفسيرية متعددة، غير أن هذا التعدد في تقديم التفسيرات يقتضي أخذ بعين الاعتبار ما يلي المنهاجية المقارنة للمفاهيم بين مختلف المدارس، الإطار التفسيري المتعلق بمدرسة التجديد الإسلامي، الإطار التفسيري المتعلق بسياقات العولمة، الإطار المتعلق بدراسة المناطق في سياقات تاريخية أو ضمن أطر معاصرة أو في ظل استدعاء التاريخ لفهم الحاضر .

- **دراسة الفكر السياسي في الحالة الراهنة** : يرى سيف الدين عبد الفتاح أن سمات الفكر السياسي الإسلامي في الحالة الراهنة، تستوجب ما يلي ([27]):

- **توجيه البحوث نحو الموضوعات الحركية** : يتضمن التوجيه تحويل الاهتمام نحو:

- الأبعاد الفكرية على حساب الأبعاد الحركية، حيث أضحى الفكري لا يستدعى إلا في حدود ما يطلبه الحركي، فعدا هذا الأخير متغيرا داعيا في حين صار الفكري مستدعى.
- تزايد الاهتمام بالموضوعات ذات البعد الحركي (الإسلام السياسي، الأصولية) و تراجع الاهتمام بالأبعاد الفكرية.
- تحريك أجندة البحث نحو "الآني " على حساب الدراسات التاريخية.

- **توجيه الرؤية الإستشراقية نحو دراسة الفكر السياسي الإسلامي** : اتجه الإستشراق نحو تناول موضوعات ذات طبيعة آنية و معاصرة في إطار دائرة الإسلام السياسي مثل المستشرق الهولندي "هانس، يانسن"،"Hans, Jensen" الذي يكتب عن الأصولية، إضافة ل"مونتغومري وات،

- "Montgomery, Watt" الباحث في مجالات الفكر السياسي الإسلامي، فضلا عن كتابات "برنارد لويس"،"Bernard, Lewis" الذي بحث مبكرا في قضايا الشرق الأوسط.

إذا كانت النماذج الغربية في دراسة القيم لكل من "أتايا، كينان و فرينغ-ياسنويتس" و تحت تأثير الوضعية قد تم إفراغ القيم من محتواها الغائي و المقاصدي، فسيطرة المنظورات المادية المشحونة بحمولات القوة و الصراع في تحليل الواقع الدولي، كما أنه بفعل تأثير هذا الإطار النظري، يتولد لدى صانع القرار حتمية الصراع كرؤية ضابطة لحركته ووجدانه، وما حالة تزايد الحروب و الصراعات إلا دليل على سيطرة هذه القيم المادية.

نلاحظ أن الفكر السياسي الإسلامي وجد في تراثه السياسي منظومة قيمية، جعلت كل من "منى أبي الفضل حامد ربيع و سيف الدين عبد الفتاح " يتجهون نحو إعادة قراءاته و اشتقاق القيم الباعثة على النهوض

([26]) مرجع، سابق، ص 8 .

([27]) مرجع، سابق، ص ص 26-27 .

و استعادة المكانة،.....

يمثل التراث السياسي الإسلامي أنموذجا إرشاديا في تقويم حالة العالم الإسلامي الواهية، و أن عملية استدعائه في المرحلة الراهنة معناه إعادة الإعتبار للقيم في بناء النظرية السياسية البديلة و إعادة ترتيب الواقع السياسي الإسلامي بما يضمن تحقيق العمران و الاستخلاف.

5-في نتائج علاقة القيم بعلم العلاقات الدولية في إطار المنظومة الفكرية الإسلامية:

تقوم العلاقة بين القيم و علم العلاقات الدولية على البحث في التراث السياسي الإسلامي على استنساخ جملة من المفاهيم و الأبنية التي يمكن توظيفها على مستوى الأدبيات النظرية للعلوم الاجتماعية (سياسة، اقتصاد، علم اجتماع تربية، علم نفس،...) بهدف تحقيق التمايز و الغيرية الحضاريتين .

ومن أبرز المفاهيم التي يمكن توظيفها في حقل العلوم السياسية:

أ-تفعيل الفكر المقاصدي في الدراسات السياسية: إذا انطلقنا من كون المقاصد الضرورية تتمثل في "الكليات العامة و الأصلية "([28]) من حفظ للدين، النفس، العقل، العرض و المال، فإن قيامها لا يوكل للفرد وحده و إنما للأمة كلها، فتعهد السلطة للفرد عن طريق الأمة.

إذا كانت السلطة السياسية تقع ضمن جوهر علم السياسة، فإنها في نفس الوقت ضرورة من ضرورات الدين و أن تأسيس الدولة في الإسلام هو أحد مقاصد الشريعة الإسلامية : أي أن السياسة نابعة من الإسلام ذاته و أن سياسة الحاكم مصدرها الدين، و عليه، فمصالح الدين لا تقوم إلا بمصالح الدنيا، و أنه لا فصل بينهما في إطار الفكر السياسي الإسلامي .

- **المجالات الحضارية لعلم السياسة** : يقوم علم السياسة –وفق الرؤية المقاصدية – بترتيب كلياته الخمسة باعتبارها الركائز الجوهرية في بناء الحضارة و استمرارية الأمة، و يتمثل هذا الترتيب في :
  - حفظ الدين : أي الاهتمام بالمرجعية الكلية التي هي أصل حفظ النظام العام في المجتمع .
  - حفظ النفس: العمل على توفير الوسائل المتعلقة بحقن الدماء، و هذا معناه المسؤولية الجماعية على أي فقدان للجماعة الإنسانية، و أن تحقيق الوسائل لا يرتبط فقط بتوفير الأمن، بل يجب ابتداع سياسات اقتصادية و اجتماعية لضمان إدماج الفرد داخل منظومة الجماعة .
  - حفظ النسل : يتعلق بحياة الأسرة و عمران الدنيا .
  - حفظ العقل: يتعلق بمراعاة السياسات التالية: السياسة التعليمية، السياسة الثقافية و السياسة الإعلامية.
  - حفظ المال: يرتبط المال بالجوانب المادية التي تتعلق بعمران الإنسان و استثماره في باب التنمية أين تعود بالإيجاب على ذات الإنسان و أمته و إنسانيته.

([28]) سيف الدين عبد الفتاح، إسماعيل، الرؤية المقاصدية و كيفية تفعيلها، بحث ملقى في دورة : كيفية تفعيل القيم في البحوث و الدراسات الاجتماعية ، القاهرة، فيفري 2010، ص 5 .

- **المزاوجة بين المجالات الحضارية**: تؤدي عملية التشابك الثنائي، الثلاثي و الرباعي بيم المجالات الحضارية لتوليد مجالات حركية جديدة، مؤسسات فاعلة و علاقات كلية من شأنها تقديم البعد الاجتهادي للمقاصد.
- **أمثلة عن المزاوجة بين المقاصد:** تولد عملية المزاوجة بين المقاصد الخمسة، مساحات الحفظ التالية:

– العمران – الاستخلاف –الدعوة

التزاوج الثنائي بين العقل و الدين :

– الابتكار و البحث العلمي – الاجتهاد و التجديد – الإبداعات الفكرية

التزاوج الثنائي بين النسل و المال يولد :

– العدالة الاجتماعية و العدالة الجيلية – التنمية المستدامة – رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي

ب–علاقة السنن الحضارية بعلم العلاقات الدولية: يرى "عبد العزيز، برغوث" أن منهجية التعامل مع السنن الحضارية يكون بالطريقة التالية([29]):

تعبر السنن عن تركيب متكامل، فهي ليست قواعد و أسس عامة تحكم الكون و الحياة و تفسرهما، فمثلا عند التركيز على مصدر السنن (القرآن الكريم) فإن علاقة السنن بالقيم تأخذ الأبعاد التالية: الخلق، الإرادة، الحكمة المشيئة، التدبير، أما النظرة المادية للعلاقة، فإن التركيز يتجه نحو : الإنسانية، المقصد، التعاون ...

يرتبط الإنسان بدوره بمنظومة السنن، فيكون الحديث عن الوعي، التبصر، العلم، العمل، الاستكشاف، التسخير، المنهج، الأنموذج الواجب الإتباع، القيم السلوكية و العملية التي يمكن اشتقاقها من السنن لتنظيم حية الفرد، الأمة و الإنسانية....

يحمل تاريخ الشعوب و الأمم بدوره أبعادا سننية تتمثل في كيفية صناعة التفوق و الريادة، مختلف التطبيقات الفعلية لحركة الاستخلاف و العمران و تطوير مناهج الاعتبار و الاستفادة من التجارب و الخبرات، فبقدر، تشبع الأمم بمنظومة القيم، بقدر ما يكون الفعل ألسنني أقرب للإعمار و البناء و سيادة منظومة التعاون و التكافل و العرفان على حساب منظمة القوة –الصراع و الاستعمار التي نشهد محدوديتها في إدارة العلاقات الدولية .

خاتمة:

نستنتج من الدراسة، جملة النتائج التالية:

بدأت المنظومة المعرفية الغربية تعرف تآكلا من الناحية، خاصة بعد هيمنة المنهجية الغربية على كيفيات بناء العلوم داخلها.

لقد كان لبروز مفاهيم العلاقات الدولية: كالقوة، الصراع و الحرب بمثابة الدليل الذي لا يساوره الشك، بخصوص سيطرة الاتجاه الوضعي على نظريات و مناهج هذا العلم.

أدت هذه السيطرة المنهجية على المعرفة السياسية لبروز، فلسفة الصدام و المواجهة، فتزايدت بذلك الحروب والنزاعات على حساب مبحث القيم.

([29]) عبد العزيز، برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد 49 صيف 2007، ص 41 .

ومن توصيات الدراسة، يمكن القول أن القيم تمثل إطارا مرجعيا موجها للسلوك و ضابطا للحركة في أدبيات الفكر السياسي الإسلامي، بل أن ضرورات العقل اليوم، تقتضي إعادة قراءة التراث برؤية حاضرة لاشتقاق القيم الإيجابية المساعدة على استعادة دور الحضارة الإسلامية في الشهود الكوني.

قائمة المراجع :

1–المصادر: القرآن الكريم

2–القواميس:

– ابن منظور، لسان العرب، ط4 (المجلد الثاني عشر (بيروت: دار صادر، 2005م).

3–الكتب:

–أمزيان محمد، محمد،منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية و المعيارية، ط4 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008).

– أبو الفضل، منى، إطلالة منهاجية على مصادر التراث السياسي الإسلامي (في) محمد، نصر عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994م).

–إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح، القيم السياسية في الإسلام (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001 م).

–––––،–––––––، الاتجاهات الحديثة في دراسة الفكر السياسي الإسلامي (في) علي الدين هلال، محمود إسماعيل (محرران)، اتجاهات حديثة في علم السياسة(القاهرة: المجلس الأعلى للجامعات،1999 م).

–إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق و السياسة "دراسة في فلسفة الحكم"(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2001م).

– بن نبي، مالك، شروط النهضة،تر: عمر مسقاوي و عبد الصبور شاهين،ط4 (دمشق: دار الفكر، 1987 م).

– بولان، ريمون، الأخلاق و السياسة، تر: عادل العوا (دمشق: دار طلاس، 1988 م).

– تشومسكي، نعوم،إعاقة الديمقراطية: الولايات المتحدة و الديمقراطية،تر: مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م).

––––––،––––، السعي الأمريي للسيطرة على العالم، تر: سامي الكعكي (بيروت: دار الكتاب العربي، 2004 م).

–الجابري عابد، محمد،العقل الأخلاقي العربي ،ج4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001 م).

–عبد الرحمن، طه،تعددية القيم: ما مداها؟ و ما جدواها؟ (الرباط: كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 2001 م).

– شتا، أحمد عبد الونيس، السنة النبوية كمصدر لدراسة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية (في) نادية، محمود مصطفى، المداخل المنهاجية للبحث في العلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996م).

– ربيع، حامد، مدخل إلى دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير و تعليق : سيف الدين عبد الفتاح، ج1+ج2 (القاهرة: دار الشروق الدولية، 2007 م).

–زيادة، رضوان، أتول، كيفن –جيه،صراع القيم(دمشق : دار الفكر، 2010 م).

3–المجلات:

– برغوث، عبد العزيز، ملاحظات حول السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشر، العدد 49، صيف 2007م.

–رجب، إبراهيم، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الأولى، 1996 م.

–المصري، خالد موسى، الوضعية و نقادها في العلاقات الدولية " دراسة نقدية للنظريات الوضعية "، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 30، العدد الأول، 2014 م.

4– المؤتمرات و الدورات :

– إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح، الرؤية المقاصدية و كيفية تفعيلها (في) دورة كيفية تفعيل القيم في البحوث و الدراسات الإجتماعية، القاهرة، فيفري 2010م .

–––––، –––––––، بناء المفاهيم الإسلامية السياسية "ضرورة منهجية" (في) مجموعة باحثين، المنهجية الإسلامية و العلوم السلوكية و التربوية، بحوث و مناقشات المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي، ط2 (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994 م).

– مصطفى عبد الخالق، نيفين، مدخل لصياغة مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم " دراسة و تطبيق على علم السياسة " في مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة، أكتوبر، 1992م.

5– المراجع باللغة الأجنبية :

ا–اللغة الفرنسية:

- المجلات:

– Knafo,Samuel, y a-t-il une voie au-delà du positivisme , Revue : Etudes Internationales , vol 39, no 3, 2008.

ب– اللغة الإنجليزية:

– Gerring, John, Yesnowitz, Joshua, a normative turn in political science, polity, vol38, no 1, january 2006.